

تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ ابو السعود (ت 982 هـ)

مصنف و مدقق

{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } * { مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ } (1-2)

مكية وآيها خمس

{ تَبَّتْ } أي هلكت { يَدَا أَبِي لَهَبٍ } هو عبدُ العزى بن عبدِ المطلِبِ وإبنُ التَّبَابِ على الهلاكِ وإسنادهُ إلى يديه لما رُوِيَ أَنَّهُ لما نزلَ
{ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }

[سورة الشعراء، الآية 214] رَقِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصَّفَا وجمعَ أَقْرَبِهِ فأنذرهم فقالَ أَبُو لهبٍ: تَبًّا لَكَ هَذَا دَعْوَتَنَا؟ وأخذَ حجراً ليرميه عليه السلامُ به
{ وَتَبَّ } أي وهلكَ كُلُّهُ وقيل: المرادُ بالأوَّلِ هلاكُ جملته كقوله تعالى:
{ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }

[سورة البقرة، الآية 195] وَمَعْنَى وَتَبَّ وَكَانَ ذَلِكَ وَحَصَلَ كَقَوْلِ مَنْ قَالَ:

جَزَائِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلُ

ويؤيده قراءةٌ من قرأَ وَقَدْ تَبَّ وقيل: الأوَّلُ إخبارٌ عن هلاكِ عمله لأنَّ الأعمالَ تراوُلُ غالباً بالأيدي والثاني إخبارٌ عن الهلاكِ نفسه وقيل كلاهما دعاءٌ عليه بالهلاكِ وقيل الأوَّلُ دعاءٌ والثاني إخبارٌ وذكرُ كنيتهٍ للتعريضِ بكونه جُهَنمياً ولاشتهره بها ولكراهةٍ ذكرِ اسمه القبيحِ وقرىءَ أَبُو لهبٍ كما قيل: عليُّ بنُ أبُو طالبٍ وقرىءَ أَبِي لهبٍ بسكونِ الهاءِ { مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ } أي لم يُغْنِ عَنْهُ حينَ حَلَّ بِهِ التَّبَابُ على أن ما نافيةٌ أو أيُّ شيءٍ أَغْنَىٰ عَنْهُ على أنَّها استفهاميةٌ في معنى الإنكارِ منصوبةٌ

بما بعدها أصلُ ماله وما كسبه من الأرباحِ والنتائجِ والمنافعِ والوجاهةِ والأتباعِ أو ماله الموروثُ من أبيه والذي كسبه بنفسه أو عمله الخبيثُ الذي هو كيده في عداوةِ النبيِّ عليه الصلاة والسلامُ أو عمله الذي ظنَّ أنه منه على شيءٍ كقوله تعالى:

{ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا }

[سورة الفرقان، الآية 23] وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروي أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبه أسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال: **" اللهم سلط عليه كلباً من كلابك "** وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليالٍ فاجتنبه أهله مخافة العدو وكانت قريش تتيقها كالتعاون فبقي ثلاثاً حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الأمر كما أخبر به القرآن.

{ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ } * { وَأَمْرًا تُهَمَّالَةً أَلْحَطَبِ } * { فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ } (3-5)

{ سَيَصْلَىٰ } بفتح الياء وقُرىء بضمة وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده أي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة { نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ } أي نراً عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصاً في أنه لا يؤمن أبداً حتى يلزم تكليفه الإيمان بالقرآن مكلفاً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبداً فيكون مأموراً بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فإن صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره

فلا اضطرارَ إلى الجوابِ المشهورِ من أنَّ ما كلفَهُ هُوَ الإيمانُ بجميعِ ما جاءَ بهِ النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ إجمالاً لا الإيمانُ بتفاصيلِ ما نطقَ بهِ القرآنُ حتَّى يلزمَ أنْ يكلفَ الإيمانَ بعدمِ إيمانهِ المستمرِ { وَأَمْرَاتُهُ } عطفُ على المستكنِّ في سيصلى لمكانِ الفصلِ بالمفعولِ وهي أمُّ جميلٍ بنتُ حربٍ أختُ أبي سفيانٍ وكانت تحملُ حزمةً من الشوكِ والحسكِ والسعدانِ فنتثرها بالليلِ في طريقِ النبيِّ عليه الصلاةُ والسلامُ وكانَ عليه الصلاةُ والسلامُ يطؤه كما يطأ الحريرَ وقيل: كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسدُ بينَ الناسِ يحملُ الحطبَ بينهمُ أي يوقدُ بينهمُ النارَ { حَمَّالَةَ الْحَطَبِ } بالنصبِ على الشتمِ والذمِّ وقيل: على الحالية بناءً على أنَّ الإضافةَ غيرُ حقيقيةٍ إذ المرادُ أنَّها تحملُ يومَ القيامةِ حزمةً من حطبِ جهنمِ كالزقومِ والضريعِ. وعن قتادةَ أنَّها معَ كثرةِ ما لها كانت تحملُ الحطبَ على ظهرها لشدةِ بُخلها فعيرتُ بالبخلِ فالنصبُ حينئذٍ على الشتمِ حتماً وقرىءَ بالرفعِ على أنَّه خبرٌ وامرأتهُ مبتدأٌ وقرىءَ حمالةٌ للحطبِ بالتثوينِ نصباً ورفعاً وقرىءَ مُرَيْتُهُ بالتصغيرِ للتحقيرِ { فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ } جملةٌ من خبرٍ مقدمٍ ومبتدأٌ مؤخرٍ والجملةُ حاليةٌ وقيل: الظرفُ خبرٌ لامرأتهِ وحبلٌ مرتفعٌ بهِ على الفاعليةِ وقيل: هُوَ حالٌ من امرأتهِ على تقديرِ عطفِها على ضميرِ سيصلى وحبلٌ فاعلٌ كما ذكرَ والمسدُّ ما يُقتلُ من الحبالِ فتلاً شديداً من ليفِ المقلِ وقيل: من أيِّ ليفٍ كانَ وقيل: من لحاءِ شجرٍ باليمنِ وقد يكونُ من جلودِ الإبلِ وأوبلها والمعنى في عنقها حبلٌ ممَّا مسدَّ من الحبالِ وأنها تحملُ تلكَ الحزمةَ من الشوكِ وتربطُها في جيدها كما يفعلُ الخطابونَ تخسيساً بجالها وتصويراً لها بصورةِ بعضِ الخطاباتِ من المواهنِ لتمتعضَ من ذلكَ ويتمعضَ بعُلها وهما في بيتِ العزِّ والشرفِ. قالَ مُرَّةُ الهَمْدانيُّ: كانت أمُّ جميلٍ تأتي كُلَّ يومٍ بإبالةٍ من حَسَكٍ فتطرُحُها على طريقِ المسلمينَ فبينما هي ذاتَ ليلةٍ حاملةٌ حزمةً أعيتُ فقعدتُ على حجرٍ لتستريحَ فجذبها الملكُ من

خلفها فاختنقت بجبلها.

عن النبي صلى الله عليه وسلم: " مَنْ قرأ سورة تبت رجوتُ أن لا يجمع الله بينه
وبين أبي لهب في دارٍ واحدةٍ " .